

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْمَنَانِ، وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ
 ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾^(١)، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَزْكَى الْعِبَادِ، وَأَقْرَبَ
 الْخُلُقِ إِلَيِ الرَّحْمَنِ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَاتَّبَاعِهِ ذَوِي الْفَضْلِ وَالْتَّقْوَى وَالْإِيمَانِ.

أَمَّا بَعْدُ،

فَالْتَّقْوَى التَّقْوَى - عِبَادُ اللَّهِ - فَقَدْ فَازَ مَنِ اتَّقَاهُ، وَفَلَحَ مَنْ رَجَاهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ أَوْلَيَاءَهُ
 إِلَّا الْمُتَّقُونَ ﴾^(٢).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

أُشْكُرُوا اللَّهُ عَلَى نِعْمَائِهِ، وَأَحْمَدُوهُ عَلَى نِعَمِهِ وَعَطَائِهِ، فَقَدْ مَنْ عَلَيْكُمْ بِصِيَامِ شَهْرِ
 رَمَضَانَ، وَوَقَقْكُمْ لِقِيَامِهِ، وَأَعْانَكُمْ عَلَى مُضَاعَفَةِ فِعْلِ الْخَيْرِ فِيهِ؛ فَاسْتَجِبُّمْ بِذَلِكَ لِنِدَاءِ رَبِّكُمْ
 ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجَدُوا وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٣)،
 فَطُوبَى لِمَنْ عَظَمَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ وَقَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ حِكْمِ الصِّيَامِ الْعَظِيمَةِ، وَطُوبَى
 لِمَنْ عَظَمَ فِي قَلْبِهِ شُكْرُ اللَّهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ دُرُوسِ الصِّيَامِ الْكَرِيمَةِ، وَطُوبَى ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ رَأَى
 تَيسِيرَ اللَّهِ، وَأَنَّ هَذَا الدِّينَ جَاءَ لِيَرْفَعَ الْحَرَاجَ عَنِ النَّاسِ، وَيَغْرِسَ الرَّحْمَةَ فِي النُّفُوسِ، وَيُنْزِلَ
 السَّكِينَةَ عَلَى الْقُلُوبِ، كَيْفَ لَا! وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ غَایَاتِ الصِّيَامِ وَدَلَائِلِ الْقُلُوبِ، يَقُولُ اللَّهُ
 جَلَّ جَلَلُهُ: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْمُسُرَ وَلِتُكِمُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ



عَلَّ مَا هَدَنَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾١﴾.

وَكَيْفَ وَجَدْتَ نَفْسَكَ - يَا عَبْدَ اللَّهِ - فِي الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ، هَلْ سَجَدْتَ وَاقْتَرَبْتَ، هَلْ نَاجَيْتَ وَدَعَوْتَ، هَلْ وَجَدْتَ مِنْ قَلْبِكَ انجِذابًا إِلَى اللَّهِ، هَلْ سَجَدْتَ سَجْدَةً لِلَّهِ كَانَتْ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى نَفْسِكَ؛ فَوَجَدْتَ فِيهَا لَذَّةَ الْقُرْبِ، وَشَعَرْتَ فِيهَا بِأَنْسٍ لِقاءِ اللَّهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَسْرَارِ شَرْعِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ؛ فَتَجِدُ الْقُلْبَ يَنْفِي عَنْهُ الشَّوَّائبَ؛ فَيَعُودُ طَاهِرًا نَقِيًّا عَلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا؛ فَيَسْمَعُ الْقُرْآنَ بِأَذْنِ غَيْرِ الَّتِي كَانَ يَسْمَعُ بِهَا، وَيَقْرُؤُهُ بِعَيْنِ غَيْرِ الَّتِي كَانَ يَقْرُؤُهُ بِهَا، وَيَتَدَبَّرُهُ بِقَلْبِ غَيْرِ الْقُلْبِ الَّذِي كَانَ يَتَدَبَّرُهُ بِهِ، فَيَجِدُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ مَلَكَ عَلَيْهِ قَلْبَهُ، وَخَالَطَ كُلَّ ذَرَّةٍ فِي بَدْنِهِ، وَيَشْعُرُ بِمَا كَانَ يَسْمَعُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّهُ كَانَ قُرْآنًا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ؛ فَتَجِدُهُ يَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي سَارَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ، وَيَخْطُو الْخُطُواتِ الَّتِي خَطَاها رَسُولُ اللَّهِ، وَيَجِدُ نَفْسَهُ تَتَأسَى عَنْ حُبِّ الْتَّائِسِي رَاجِيًّا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، وَاجِدًا مِنْ نَفْسِهِ ثَعْقُقَ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾٢﴾.

وَلَا عَجَبَ - عِبَادَ اللَّهِ - فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْقُرْبُ الَّذِي يُرَادُ لِلْإِنْسَانِ بِصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَمَنْ اقْتَرَبَ مِنَ اللَّهِ اقْتَرَبَ اللَّهُ مِنْهُ، أَلَيْسَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي شَرَفَنَا بِالْعُبُودِيَّةِ لَهُ فَكُنَّا عِبَادَهُ! وَمَنْ كَانَ مِنْ عِبَادِهِ كَانَ اللَّهُ قَرِيبًا مِنْهُ؛ يُحِبُّ دُعَاءَهُ، وَيَسْمَعُ نِدَاءَهُ، وَيَرْفَعُ دَرَجَاتِهِ، وَيُضَاعِفُ حَسَنَاتِهِ، وَيُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، وَمَنْ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ هَذَا الْقُرْبَ عَلِمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ هُنَاكَ حِكْمَةً بِالْغَةِ فِي نِكْرِ الْقُرْبِ بَيْنَ آيَاتِ الصِّيَامِ، فَاسْمَعُوا - أَهْلُ الْإِيمَانِ - وَتَدَبَّرُوا قَوْلَ اللَّهِ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دُعَوةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَ تَحِبُّونِي وَلَيُؤْمِنُونِي بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾٣﴾.



وَلَنْتُرْ فِي شَأْنٍ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي نَدَبَنَا إِلَيْهَا نَبِيُّنَا ﷺ؛ فَقَالَ لَنَا فِي شَأْنِهَا: (١) فَالْتَّمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ، وَالْتَّمِسُوهَا فِي كُلِّ وِثْرٍ)، نَلْتَمِسُهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ بَعْدَ أَنْ مَضَتْ عَلَيْنَا عِشْرُونَ لَيْلَةً مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، كَانَتْ فُرْصَةً لِتَرْوِيْضِ النُّفُوسِ وَاسْتِعْدَادِ الْقُلُوبِ؛ لِتَكُونَ أَقْدَرَ عَلَى الشُّعُورِ بِتِلْكَ اللَّيْلَةِ، لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، نَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا يَادِنَ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلَّمَهُنَّ حَتَّى مَطْلَعَ الْفَجْرِ﴾ (١)، وَلَا يَجِدُهَا إِلَّا مَنِ اشْتَدَّ تَحْرِيْهُ لَهَا، وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ لِيَجِدَهَا ﴿وَمَا يُلْقَنَّهَا إِلَّا أَلَّا أَلَّا أَلَّا أَلَّا أَلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾ (٢)، فَهَنِيَّا لِمَنْ وَفَقَهُ اللَّهُ لِلتِّمَاسِهَا فِيمَا مَضَى، وَوَاصَلَ التِّمَاسَهَا فِيمَا بَقِيَ؛ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ عَمَلَكَ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣)، وَيَا مَنْ تَرَاهُ وَقَصَرَ ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (٤)، وَالْحَقُّ بِرَكْبِ السَّابِقِينَ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، وَبَعْدِ الشُّقُقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَشْهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٥).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرُ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الْكَرِيمُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهُدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَاحْبِهِ وَاتَّبَاعِهِ الْمُتَّقِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاسْكُرُوهُ عَلَى جَائِرَتِهِ بِتَمَامِ الصِّيَامِ، فَقَدْ جَعَلَ لَكُمْ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ يَوْمَ فَرَحٍ وَسُرُورٍ، وَهُوَ يَوْمٌ سَعَادَةٌ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْمُسْلِمِينَ مَنْ هُوَ غَيْرُ سَعِيدٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، أَوْ مَنْ هُوَ مَشْغُولٌ بِأَمْرٍ قُوْتِهِ وَقُوتِ عِيَالِهِ، بَلْ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ يَوْمَ سَعَادَةٍ عَامًا؛ يَعْمُلُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، وَالْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، وَالْمَرْأَةَ وَالرَّجُلَ، وَالضَّعِيفَ وَالْقَوِيَّ، وَلِذَلِكَ قَالَ

(١) سورة القمر / ٢ - ٥.

(٢) سورة فصلت / ٣٥.

(٣) سورة هود / ١١٥.

(٤) سورة الزمر / ٥٣.

(٥) سورة النساء / ٢٧.



النَّبِيُّ ﷺ: ((أَغْنُوهُمْ عَنِ السُّؤَالِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ)). وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى مَحْزُونٍ، وَتَفْرِيجِ كُرْبَةِ عَنْ مُحْتَاجٍ، وَتَسْيِيرِ عَسِيرٍ عَلَى مُغْسِرٍ، وَلَيْسَ مِنْ اسْتِقْبَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ بَقَاءُ قَطِيعَةٍ بَيْنَ مُؤْمِنِينَ أَوْ مُؤْمِنَاتِنَّ ((وَالصَّلْحُ خَيْرٌ)), وَقَدْ كَانَ مِنْ هَذِي النَّبِيِّ ﷺ إِخْرَاجُ زَكَاةَ الْفِطْرِ، وَأَكْلُ شَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَلُبْسُ الْحَسَنِ مِنَ الثِّيَابِ، وَالْخُرُوجُ مِنْ طَرِيقِ الرُّجُوعِ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ، وَالْإِكْثَارُ مِنَ التَّكْبِيرِ، وَلِقاءُ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ بِالْبِشْرِ وَالسَّلَامِ وَالرَّحْمَةِ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلنَّاسِ ﴾^(١).

هَذَا، وَصَلُوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمْرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَاتُهُ وَسَلَامُهُ تَسْلِيمًا ﴾^(٢).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَحِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمِيعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمِيعَنَا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَقْرُقَةً مِنْ بَعْدِهِ تَقْرُقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَاکْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاکْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَحِيْرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغْيِثُ أَلَا تَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنًا كُلُّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أُوطَانَنَا وَاعِزْ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِعْ



عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيْدِهِ بُنُورٌ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرُجْ لَنَا مِنْ حَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا
وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ
قَرِيبٌ مُحِبُّ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَةِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .

